الكلمة ذاتها Landscape

من كتاب اكتشاف المظاهر الطبيعية العامية (1984)

جون برينكرهوف جاكسون

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

على الرغم من أن "جيه. بي"، أو "برينك" فقط ، جاكسون (1909-1996) ولد في فرنسا ، فإن عمله مشهور بتجسيده لجوءه إلى هوية أميركية أساسية . فخلال مسيرته الطويلة كباحث وكاتب وفنان ، قارن بين ما أسماه المظاهر الطبيعية العامية التي بناها الناس العاديون لتلبية احتياجاتهم من خلال ما كان متاحًا محليًا والمظاهر الطبيعية الرسمية التي خططت لها الحكومات . وكان عمله يميل إلى تمجيد العناصر الريفية التي ترمز إليها المزارع والطرق الريفية والحدائق الأمامية ، في حين يُظهر تشككًا تجاه المدن الكبرى والطرق السريعة والبناء الضخم . وقد شكل التباين بين الجغرافيات الشعبية الموجهة نحو الريف والجغرافيات الشعبية القائمة على المناطق الحضرية جغرافية الثقافة الأميركية والبريطانية طوال معظم القرن العشرين .

تتردد صدى هذه الثنائيات مع التناقضات في حياة جاكسون نفسه . فخلال شبابه المتميز نسبيًا ، أمضى جاكسون وقتًا في واشنطن العاصمة وسويسرا ونيو إنجلاند ونيو مكسيكو . التحق بجامعة هارفارد في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين . التحق بالجيش الأمريكي عام 1940. وقد جعلته طلاقته في اللغتين الفرنسية والألمانية مؤهلاً بشكل طبيعي للتمركز في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية . يروي جاكسون تصفحه للكتب في مكتبة قصر نورماندي المحتل ، وقضاء شتاء طويل في غابة هورتجن بألمانيا ، وقراءة أعمال الجغرافيين الأوروبيين البارزين مثل بول فيدال دي لا بلاش والاهتمام بها . وبعد انتهاء خدمته العسكرية عام 1946، واصل جاكسون تأسيس مجلة Landscape عام 1951 ، حيث ظل محررًا حتى عام 1968. كما أصبح جاكسون مدرسًا محبوبًا في جامعة كاليفورنيا ، بيركلي . وعلى الرغم من تعليمه في هارفارد وحبه الدائم للطهي الفرنسي والسويسري ، فقد عاش سنواته الأخيرة في مزرعة متواضعة في نيو مكسيكو مع كلبه

لقد نظر جاكسون إلى المظاهر الطبيعية كونها سجلاً أميناً لحضور الإنسان ، حيث صرح بأن "المظاهر الطبيعية هي التاريخ الذي أصبح مرئياً" . إن تأكيده على قراءة معنى المظاهر الطبيعية من عناصرها المادية يضعه في مرتبة متقاربة مع جغرافيي الثقافة "القدامى" الذين وصفهم دون ميتشل . وفي تعريفه **للمناظر الطبيعية** كونها "جزءاً من سطح الأرض يمكن فهمه بنظرة واحدة" ، يكشف جاكسون عن ميوله السويريانية . في الواقع ، كان كارل ساور وج. ب. جاكسون يعرفان بعضهما البعض جيداً ، حيث كانا زميلين في قسم الجغرافيا بجامعة كاليفورنيا بيركلي . وقد ساهم ساور في عمل لمجلة جاكسون ، "المظاهر الطبيعية" . وعلى النقيض من العديد من القطع في هذا القسم ، لم ينبع تحليل جاكسون من اهتمام نقدي بالجنس أو العمل أو ملكية الممتلكات ، أو اهتمام مدفوع بالنظرية بالمظاهر الطبيعية كونها تمثيلاً أو منظوراً ، بل من نظرة ثاقبة للتفاصيل وحب دائم للأشياء الريفية والطبقة العاملة واليومية . ولكن جاكسون لم يكن غافلاً عن علاقات القوة المجتمعية . وكان تشككه الصريح في المؤسسة ، والحكومة الكبيرة ، والنمو من أجل النمو سبباً في وضع جاكسون في زاوية "الرجل الصغير" .

في "الكلمة نفسها" ، شرح جاكسون المعاني المتغيرة لكلمة "منظر طبيعي" . وتتبع أصل المصطلح عبر اللغات الأوروبية ، واستخدامه المبكر في التقاليد الزراعية ، والتقسيمات الإدارية ، والرسم ، والمسرح

. واعرب جاكسون عن انزعاجه من الاستخدام المجازي المتزايد لمصطلح "مظهر طبيعي" ، كما يتضح من استخدام اللاحقة "scape" للإشارة إلى أي مساحة حرفية أو مجازية . وبدلاً من ذلك ، يدعو إلى تحقيق أكثر جوهرية في تحول استخدام المصطلح بعيدًا عن الدوائر الضيقة لرسم المظاهر الطبيعية والهندسة المعمارية . ورغم أنه رفض تقديم تعريف جديد لمصطلح "مظهر طبيعي" ، إلا أنه جادل في العودة إلى فهم المظاهر الطبيعية كونها "واقعًا ملموسًا ثلاثي الأبعاد ومشتركًا" .

تناول كينيث كلارك العلاقة بين الطبيعة والمجتمع كما يتم التوسط فيها من خلال رسم المناظر الطبيعية في كتابه "المظاهر الطبيعية في الفن" (1949) ، بأسلوب انتقده العديد من أولئك الذين تم تضمين أعمالهم في هذا القسم ، بما في ذلك جاكسون هنا . يي فو توان ، الجغرافي الثقافي الذي كتب العديد من المجلدات بما في ذلك "الفضاء والمكان : منظور التجربة" (أعيد طبعه في عام 2001) يستحضر إصرار جاكسون على الخبرة المباشرة للأحداث والأماكن اليومية في بناء مظهر طبيعي ذي معنى . "الكلمة نفسها" تنبئ بمخاوف كينيث أولويج ، الذي كتب عن دور المظاهر الطبيعية في المسرح والزراعة والإدارة في شمال أوروبا ، وكيف تحولت هذه الاستخدامات المبكرة بطرق مهمة نحو إدارة الدولة ، في "المظاهر الطبيعية والطبيعة والجسد السياسي : من عصر النهضة البريطاني إلى العالم الجديد في أمريكا"(2002) .

تشمل الأعمال الرئيسية لجيه. بي. جاكسون "إحساس بالمكان ، وإحساس بالزمن" (1996) ، و"اكتشاف المظاهر الطبيعية العامة" (1996) ، و"ضرورة الأطلال وموضوعات أخرى" (1980). وقد جُمعت العديد من المقالات والرسومات التي ساهم بها في مجلة "المظاهر الطبيعية" ، والتي كتبها البعض تحت أسماء مستعارة مبتكرة ، وأعيد طبعها في كتاب هيلين ليفكويتز-هورويتز "المظاهر الطبيعية في الأفق : النظر إلى أمريكا" (1997) . وقد أعيد طبع أحد هذه المقالات ، "العيش في الهواء الطلق مع السيدة بانثر" ، هنا . إن مقدمة ليفكويتز-هورويتز لهذه المجموعة هي سيرة ذاتية مفصلة لحياة جاكسون وأعماله ، بعنوان "جيه. بي. جاكسون واكتشاف المظاهر الطبيعية الأمريكية "(صفحات .ix-xxxi) كما كتب بول ستارز بالتفصيل عن حياة جاكسون وأعماله في "برينك جاكسون في عالم الحياة اليومية" ، في مجلة-492 :(1998) 506. Geographical Review 88 ، وأخيرًا، قام كريس ويلسون وبول جروث بتحرير مجموعة مستوحاة من نهج جاكسون ، بعنوان Everyday America: Cultural Landscape Studies بعد J. B. Jackson (2003) . إنني أتساءل لماذا نجد صعوبة في الاتفاق على معنى كلمة "مظهر طبيعي" ؟ إن الكلمة بسيطة للغاية ، وهي تشير إلى شيء نظن أننا نفهمه ؛ ومع ذلك ، يبدو لكل منا أنها تعني شيئًا مختلفًا .

إن ما نحتاج إليه هو تعريف جديد . إن التعريف الذي نجده في أغلب القواميس يعود إلى أكثر من ثلاثمائة عام ، وقد وُضِع خصيصًا للفنانين . وهو يخبرنا بأن "المنظر الطبيعي" هو "جزء من الأرض يمكن للعين أن تدركه بنظرة واحدة". والواقع أن هذه الكلمة عندما أُدخِلَت (أو أُعيد تقديمها) إلى اللغة الإنجليزية لأول مرة لم تكن تعني المظهر نفسه ، بل كانت تعني صورة له ، أو تفسيرًا من قِبَل الفنان . وكانت مهمته أن يأخذ الأشكال والألوان والمساحات أمامه ـ الجبال ، والأنهار، والغابات ، والحقول ، وما إلى ذلك ـ ويؤلفها بحيث تشكل عملاً فنيًا .

ولست بحاجة إلى أن أروي بالتفصيل كيف تغير معنى الكلمة تدريجيًا . في البداية كان الأمر يعني صورة لمنظر ما ؛ ثم المنظر نفسه . ذهبنا إلى الريف واكتشفنا مناظر جميلة ، دائمًا لقد كان من الضروري أن نأخذ في الحسبان معايير جمال المظاهر الطبيعية كما وضعها النقاد والفنانون . وأخيرًا ، وعلى نطاق متواضع ، تعهدنا بإعادة تصميم قطعة من الأرض بحيث تشبه المظاهر الطبيعية الرعوية في شكل حديقة أو متنزه . وكما استخدم الرسام حكمه فيما يتعلق بما يجب تضمينه أو حذفه في تكوينه ، فقد بذل بستاني المظاهر

الطبيعية (كما كان يُعرف في القرن الثامن عشر) جهودًا كبيرة لإنتاج منظر طبيعي "خلاب" منمق ، مع استبعاد الطرق الموحلة والحقول المحروثة والقرى القذرة في الريف الحقيقي ، وإدراج بعض السمات الطبيعية الممتعة : الجداول وبساتين الأشجار والمساحات الناعمة من العشب .

وكانت النتائج في كثير من الأحيان جميلة للغاية ، لكنها كانت صورًا ثابتة ، وإن كانت ثلاثية الأبعاد . واستمر الاعتماد على وجهة نظر الفنان وتعريفه لجمال المظاهر الطبيعية طوال القرن التاسع عشر. [مهندس المظاهر الطبيعية الأمريكي في القرن التاسع عشر فريدريك لو] صمم أولمستيد و أتباعه حدائقهم "وعلى الرغم من أن التكوين ثلاثي الأبعاد في مواد المظاهر الطبيعية يختلف عن الرسم ثنائي الأبعاد للمظاهر الطبيعية ، لأن تصميم الحديقة أو المتنزه يحتوي على سلسلة من التركيبات التصويرية ،" تخبرنا الموسوعة البريطانية... "ومع ذلك ، نجد في كل من هذه الصور المبادئ الأساسية المألوفة للوحدة ، والتكرار، والتسلسل والتوازن ، والتناغم والتباين" .

ولكن خلال نصف القرن الماضي حدثت ثورة : فقد سلك تصميم المظاهر الطبيعية ورسم المناظر الطبيعية طريقين منفصلين . لم يعد مهندسو المظاهر الطبيعية يلجؤون إلى [الرسامين] بوسان أو سالفاتور روزا أو جيلبين للإلهام ؛ ربما لم يسمعوا حتى عن أعمالهم . إن معرفة علم البيئة والحفاظ عليها وعلم النفس البيئي أصبحا الآن جزءًا من الخلفية المهنية لمهندس المظاهر الطبيعية ، **ويُنظر إلى حماية البيئة الطبيعية وإدارتها على أنها أكثر أهمية من تصميم الحدائق الخلابة** . لقد لاحظت أن مصممي البيئة يتجنبون كلمة المظاهر الطبيعية ويفضلون الأرض أو التضاريس أو البيئة أو حتى الفضاء عندما يكون لديهم موقع محدد في الحسبان . تُستخدم المظاهر الطبيعية للإشارة إلى الجودة الجمالية للريف الأوسع . أما بالنسبة للرسامين ، فقد فقدوا منذ فترة طويلة الاهتمام بإنتاج المناظر الطبيعية التقليدية .

علق كينيث كلارك في كتابه "المظاهر الطبيعية في الفن" على هذه الحقيقة . "لقد وسع المجهر والتلسكوب نطاق رؤيتنا بشكل كبير" ، كما كتب ، "حتى أن الطبيعة المريحة والحساسة التي يمكننا رؤيتها بأعيننا توقفت عن إرضاء خيالاتنا . إننا نعلم أن المظاهر الطبيعية الأكثر اتساعاً وفقاً لمعاييرنا الجديدة للقياس تشبه عملياً الحفرة التي تهرب منها النملة الحفارة من أمام أعيننا" . ولا أجد في هذا تفسيراً مقنعاً لزوال فن رسم المناظر الطبيعية التقليدي . فقد كان السبب في ذلك أكثر من مجرد تغيير في الحجم . فقد تعلم الرسامون أن يروا البيئة بطريقة جديدة وأكثر ذاتية : كونها نوعاً مختلفاً من الخبرة . ولكن هذه ليست النقطة الأساسية .

فالنقطة الأساسية هي أن التخصصين اللذين كانا يحتكرا الكلمة ذات يوم ـ هندسة المظاهر الطبيعية ورسم المناظر الطبيعية ـ توقفا عن استخدامها بالطريقة التي كانا يستخدمانها بها قبل بضعة عقود من الزمان ، وقد عادت الكلمة الآن إلى المجال العام . ولكن ماذا حدث للكلمة في غضون ذلك ؟ أولاً، أصبحنا نستخدمها بقدر أعظم كثيراً من الحرية . ولم نعد نهتم بمعناها الحرفي . إن هذه الكلمة تعني في الواقع "منظر طبيعي" ـ وهو ما سأتناوله لاحقاً ـ وقد صاغنا عدداً من الكلمات المشابهة لها : "منظر الطريق" ، "منظر المدينة" ، وكأن المقطع "منظر طبيعي" يعني "مساحة" ، وهو ما لا يعنيه ؛ ونحن نتحدث عن "منظر طبيعي بري" ، أو "منظر طبيعي قمري" ، بل وحتى عن "منظر طبيعي في قاع المحيط" .

وعلاوة على ذلك ، كثيراً ما تستخدم الكلمة في الكتابات النقدية كنوع من الاستعارة . وهكذا نجد ذكراً لـ"منظر طبيعي لصور الشاعر" ، أو "منظر طبيعي للأحلام" ، أو "منظر طبيعي كخصم" أو "منظر طبيعي للفكر" ، أو على مستوى مختلف تماماً "المنظر الطبيعي السياسي لمؤتمر حلف شمال الأطلسي" ، أو "منظر طبيعي للرعاية" . إن رد فعلنا الأول على هذه الاستخدامات هو أنها بعيدة المنال ومتكلفة . ولكن هذه الكلمات تذكرنا بحقيقة مهمة : وهي أننا نحتاج دائماً إلى كلمة أو عبارة للإشارة إلى نوع من البيئة أو الإطار الذي يمكن أن يضفي حيوية على فكرة أو حدث أو علاقة ؛ أو إلى خلفية تضعها في العالم . **وبهذا المعنى ، تخدم**

المظاهر الطبيعية الغرض المفيد نفسه الذي تخدمه كلمات المناخ أو الغلاف الجوي ، عندما تستخدم مجازياً . والواقع أن المظاهر الطبيعية عندما تستخدم كمصطلح للرسامين غالباً ما تعني "كل ذلك الجزء من الصورة الذي لا يشكل الجسد أو الحجة" ـ مثل مجموعة السحب العاصفة في مشهد معركة أو لمحة من مبنى الكابيتول في صورة رئاسية .

في القرن الثامن عشر، كانت المناظر الطبيعية تشير إلى المظاهر الطبيعية في المسرح وكانت لها وظيفة الإيحاء بشكل خفي بموقع الحدث أو ربما الوقت من اليوم . وكما أشرت في مكان آخر، لا يوجد مؤشر أفضل لكيفية تغير علاقتنا بالبيئة على مر القرون من دور ديكور المسرح . قبل ثلاثمائة عام ، كان بوسع كورناي أن يكتب مأساة من خمسة فصول بإشارة واحدة إلى مكان الحدث : "تدور الأحداث في قصر الملك" . إذا ألقينا نظرة على عمل كاتب مسرحي معاصر، فربما نجد وصفًا تفصيليًا واحدًا تلو الآخر لمشهد ، وأظن أن الفيلم المعاصر هو الأفضل في هذا النوع من المظاهر الطبيعية . هنا يفعل الديكور أكثر من مجرد تحديد الوقت والمكان وتحديد المزاج . فمن خلال التحولات في الإضاءة والصوت والمنظور، يخلق الديكور الممثلين ، ويحددهم ، ويخبرهم بما يجب عليهم فعله : وهو مثال جيد على الحتمية البيئية .

ولكن هذه الأجهزة المسرحية والمظاهر الطبيعية المسرحية ليست سوى تقليد للمناظر الحقيقية : يسهل على الجميع فهمها ، ويشتركون فيها . ما أعترض عليه هو المغالطة في الاستخدام المجازي للمصطلحات الاتية : الكلمة . لا أحد ينكر أنه مع تزايد تعقيد أفكارنا وتجريدها ، نحتاج إلى استعارات لإعطائها درجة من الواقعية . لا أحد ينكر أنه مع تزايد عدم اليقين بشأن وضعنا ، نحتاج إلى المزيد والمزيد من التعزيز من بيئتنا . ولكن لا ينبغي لنا أن نستخدم كلمة المظاهر الطبيعية لوصف عالمنا الخاص ، أو عالمنا المصغر الخاص ولسبب بسيط : **المظاهر الطبيعية هي واقع ملموس، ثلاثي الأبعاد ، ومشترك** .

الأراضي والأشكال

المظاهر الطبيعية هي مساحة على سطح الأرض ؛ نعلم بديهيًا أنها مساحة ذات درجة من الثبات ، ولها طابعها المميز ، سواء كان طبوغرافيًا أو ثقافيًا ، وفوق كل شيء مساحة مشتركة بين مجموعة من الناس ؛ وعندما نتجاوز التعريف المعجمي للمظاهر الطبيعية ونفحص الكلمة نفسها ، نجد أن حدسنا صحيح . إن كلمة Landscape هي كلمة مركبة ، ومكوناتها تعود إلى ذلك المصطلح الهندو أوروبي القديم ، الذي أخرجته الشعوب المهاجرة من آسيا منذ آلاف السنين ، والذي أصبح أساسًا لجميع اللغات الأوروبية الحديثة تقريبًا - اللاتينية والسلتية والجرمانية والسلافية واليونانية . وقد أدخلت الكلمة إلى بريطانيا في وقت ما بعد القرن الخامس الميلادي . من قبل الأنجلز والساكسونيين والجوت والدنمركيين ومجموعات أخرى من الكلام الجرماني .

بالإضافة إلى تنوعاتها الإنجليزية القديمة landskipe - و landscaef وغيرها – هناك Landschaft الألمانية و landscape الهولندية ، بالإضافة إلى ما يعادلها في الدنماركية والسويدية . وكلها تنحدر من الجذر نفسه ، ولكنها لا تستخدم دائمًا بالمعنى الإنجليزي . على سبيل المثال ، يمكن أن تكون Landschaftالألمانية في بعض الأحيان وحدة إدارية صغيرة ، تتوافق في الحجم مع منطقتنا . أشعر أن هناك فرقًا طفيفًا ولكنه ملحوظ بين الطريقة التي نستخدم بها نحن الأميركيون هذه الكلمة والطريقة التي يستخدمها الإنجليز . نميل إلى الاعتقاد بأن كلمة "منظر طبيعي" قد تعني المظاهر الطبيعية فقط ، بينما في إنجلترا تحتوي المظاهر الطبيعية دائمًا تقريبًا على عنصر بشري . الكلمة المكافئة في اللغات اللاتينية مشتقة في كل حالة تقريبًا من الكلمة اللاتينية - pagus والتي تعني منطقة ريفية محددة .

في الواقع ، لدى الفرنسيين عدة كلمات لكلمة "منظر طبيعي" ، ولكل منها ظلال من المعنى : terroir، pays، paysage، campagne. في إنجلترا كان التمييز يتم ذات يوم بين نوعين من المظاهر الطبيعية . المظاهر الطبيعية : الغابة والبطل – الأخير مشتق من الشمبانيا الفرنسية ، والتي تعني ريفًا من الحقول . المقطع الأول ، الأرض ، كان له مسار متنوع . بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى إنجلترا ، كان يدل على الأرض والتربة بالإضافة إلى جزء من سطح الكرة الأرضية . ولكن المعنى القوطي الأقدم بكثير كان الحقل المحروث . يقول قاموس جريم الضخم للغة الألمانية أن "الأرض كانت تدل في الأصل على قطعة الأرض أو الأخاديد في الحقل والتي كانت تدور سنويًا" أو تعاد توزيعها .

يمكننا أن نفترض أنه في العصور المظلمة كان الاستخدام الأكثر شيوعًا للكلمة يشير إلى أي جزء محدد جيدًا من سطح الأرض . كانت قطعة المزرعة الصغيرة أرضًا ، وكذلك كانت الأراضي ذات السيادة مثل إنجلترا أو اسكتلندا ؛ أي منطقة ذات حدود معترف بها كانت أرضًا . وعلى الرغم من إعادة تفسير الأرض على مدى ما يقرب من ألفي عام من قِبَل الجغرافيين والشعراء وعلماء البيئة ، فإن القانون الأميركي ما يزال متمسكاً بعناد بهذا المعنى القديم : "أي موقع محدد يُعَد جزءاً من سطح الأرض ، ويمتد في كلا الاتجاهين الرأسيين كما يحدده القانون" .

ولعل هذا التعريف هو الذي جعل المزارعين يفكرون في الأرض ليس فقط من حيث التربة والتضاريس ، بل وأيضاً من حيث القياسات المكانية ، كونها جزءاً محدداً من مساحة أوسع . وفي الجنوب الأميركي ، وفي إنجلترا أيضاً ، تُعَد "الأرض" تقسيماً فرعياً لحقل ، أو صفاً عريضاً من الأرض يتم شقّه بالحرث أو القص ، وكانت جزازات العشب التي تجرها الخيول تُعَد ذات يوم "أرضاً مساحتها كذا وكذا قدم" . وفي يوركشاير، يأخذ حاصدو القمح "أرضاً" (يبلغ عرضها ستة أقدام في العادة) ويقطعونها على طول الحقل . "يقول قاموس اللهجة الإنجليزية : ""إن المرأة تحصد نصف فدان في اليوم ، بينما يحصد ""الرجل فدانًا""... وهذا أمر مربك للغاية ، بل وأكثر إرباكًا هو حقيقة أن الأرض في اسكتلندا حتى يومنا هذا تعني مبنى مقسمًا إلى منازل أو شقق . وأعترف بأنني أجد صعوبة في فهم هذا الاستخدام الخاص للكلمة ، باستثناء أن كلمة ""lann"" في اللغة الغيلية تعني مبنى مقسمًا إلى منازل أو شقق .

وأخيرًا، ها هو مثال - إذا كان من الممكن تسميته كذلك - للأرض التي تعني جزءًا من مساحة أكبر ومساحة مغلقة : يعرف المشاة أن الأرض هي فاصل بين أخاديد فتحة البندقية . لست بحاجة إلى التأكيد على هذه النقطة . فبقدر ما نستطيع تتبع الكلمة ، فإن الأرض تعني مساحة محددة ، مساحة ذات حدود ، وإن لم تكن بالضرورة مساحة ذات أسوار أو جدران . الكلمة لها العديد من المعاني المشتقة التي تنافس في الغموض كلمة "المظاهر الطبيعية . قبل ثلاثة قرون ، كانت وما تزال تستخدم في الكلام اليومي للإشارة إلى جزء من الأرض المحروثة لا يزيد حجمها عن ربع فدان ، ثم للإشارة إلى مساحة واسعة من ممتلكات القرية ، كما هو الحال في الأراضي العشبية أو الغابات ، ثم أخيرًا للإشارة إلى إنجلترا نفسها -أكبر مساحة يمكن لأي إنجليزي في تلك الأيام أن يتخيلها ؛ باختصار، كلمة متعددة الاستخدامات بشكل ملحوظ ، ولكنها تشير دائمًا إلى مساحة يحددها الناس ، ويمكن وصفها بمصطلحات قانونية .

وهذا يقودنا إلى المقطع الثاني .scape : إنه في الأساس الشكل نفسه ، باستثناء أنه كان يعني ذات يوم تركيبة من الأشياء المتشابهة ، كما هو الحال عندما نتحدث عن زمالة أو عضوية . المعنى أكثر وضوحًا في كلمة ذات صلة - sheaf : حزمة أو مجموعة من السيقان أو النباتات المتشابهة . يبدو أن اللغة الإنجليزية القديمة ، أو الأنجلو ساكسونية ، كانت تحتوي على عدة كلمات مركبة تستخدم المقطع الثاني scape- أو ما يعادله- للإشارة إلى الجوانب الجماعية للبيئة . الأمر أشبه بأن الكلمات تم صياغتها عندما بدأ الناس يدركون

تعقيدات العالم الذي صنعه الإنسان . وعلى هذا فإن housescape تعني ما نسميه الآن household، وكلمة من النوع نفسه نستخدمها -township- كانت تعني ذات يوم مجموعة من "tuns"أو المزارع . وإذا ما حللناها على هذا النحو ، فإن كلمة landscape تبدو كأنها كلمة سهلة الفهم : مجموعة من الأراضي . ولكن المقطعين كانا يحملان ذات يوم معاني مختلفة تم نسيانها الآن ، وهذا ينبغي أن ينبهنا إلى حقيقة مفادها أن المقاطع الأحادية المقطع المألوفة في اللغة الإنجليزية - house, town, land, field, home - يمكن أن تكون متقلبة للغاية على الرغم من صوتها الريفي . وكلمة Scape هي مثال على ذلك . وتذكر وثيقة إنجليزية من القرن العاشر تدمير ما أسمته ."waterscape" ماذا كان ذلك ؟ قد نفترض منطقيًا أنه كان المعادل للمناظر الطبيعية السائلة ، ربما ترتيبًا زخرفيًا للبرك والجداول والشلالات ، من ابتكار أحد أسلاف أولمستيد الأنجلوساكسونيين . لكنه كان في الواقع شيئًا مختلفًا تمامًا . كان المشهد المائي المعني عبارة عن نظام من الأنابيب والصرف الصحي والقنوات المائية التي تخدم مسكنًا وطاحونة .

من هذه المعلومة يمكننا أن نتعلم شيئين . **أولاً**، أن أسلافنا في العصر المظلم كانوا يمتلكون مهارات ربما لم ننسبها إليهم ، و**ثانيًا**، أن كلمة scape يمكن أن تشير أيضًا إلى شيء مثل المنظمة أو النظام . ولماذا لا ؟ إذا كان منظر المنزل يعني تنظيم موظفي المنزل ، وإذا أصبحت البلدة تعني في النهاية وحدة إدارية ، "ثم ربما كان من الممكن أن تعني كلمة "منظر طبيعي" شيئًا ما مثل التنظيم ، أو نظام المساحات الزراعية الريفية . على أية حال ، من الواضح أن الكلمة قبل ألف عام لم يكن لها أي علاقة بالمظاهر الطبيعية أو تصوير المظاهر الطبيعية .

نستخرج كلمة "منظر طبيعي" من جذورها الهندو أوروبية في محاولة لاكتساب بعض البصيرة في معناها الأساسي ، وللوهلة الأولى تبدو النتائج مخيبة للآمال . وبصرف النظر عن حقيقة أن الكلمة ، كما استخدمت في الأصل ، كانت تتعامل فقط مع جزء صغير من البيئة الريفية ، يبدو أنها لا تحتوي على تلميح إلى الارتباطات الجمالية والعاطفية التي ما تزال الكلمة تحملها بالنسبة لنا . لن نكسب الكثير من البحث عن خط لغوي ما بين مناظرنا الطبيعية الغنية ومجموعة صغيرة من الحقول المحروثة منذ أكثر من ألف عام .

"ومع ذلك ، فإن صيغة المظاهر الطبيعية كونها تركيبة من المساحات التي صنعها الإنسان على الأرض أكثر أهمية مما تبدو عليه للوهلة الأولى ، لأنها إذا لم تزودنا بتعريف ، فإنها تلقي ضوءًا كاشفًا على أصل المفهوم . لأنها تقول إن **المظاهر الطبيعية** ليست سمة طبيعية للبيئة ، بل هي مساحة اصطناعية ، ونظام من المساحات التي صنعها الإنسان ، والتي فرضت على وجه الأرض، وتعمل وتتطور ليس وفقًا للقوانين الطبيعية ، بل لخدمة المجتمع - لأن الطابع الجماعي للمناظر الطبيعية هو شيء واحد اتفقت عليه جميع الأجيال وجميع وجهات النظر . وبالتالي **فإن المظاهر الطبيعية هي مساحة تم إنشاؤها عمدًا لتسريع أو إبطاء عملية الطبيعة. ... إنها تمثل الإنسان وهو يأخذ على عاتقه دور الزمن** .

إن هذا المشروع ناجح للغاية في مجمله ، والدليل على ذلك ، على نحو متناقض ، هو أن العديد من هذه التنظيمات الاصطناعية للفضاء ، إن لم يكن معظمها ، قد تم استيعابها بشكل جيد في البيئة الطبيعية لدرجة أنه لا يمكن التمييز بينها ولا يمكن التعرف على حقيقتها . إن استصلاح هولندا ، والمستنقعات في إنجلترا ، وأجزاء كبيرة من وادي بو ، هي أمثلة مألوفة للتدخل الطبوغرافي الذي أنتج مناظر طبيعية جديدة . والأقل شهرة هي المظاهر الطبيعية الاصطناعية التي تم إنتاجها ببساطة من خلال إعادة التنظيم المكاني . ويقال إن المؤرخين يتجاهلون البعد المكاني للتاريخ ، وربما لهذا السبب نسمع القليل جدًا عن صنع المظاهر الطبيعية الزراعية بالجملة في جميع أنحاء أوروبا في القرن السابع عشر.

وليس من قبيل المصادفة أن الكثير من إنشاء المظاهر الطبيعية هذا حدث خلال فترة حيث كان الناس في ذلك الوقت يزرعون النباتات في المناطق الحضرية ، ولكنهم لم يتمكنوا من زراعة الأشجار في المناطق الحضرية . لقد كان من المقرر أن يتم تصميم أعظم الحدائق والمتنزهات وأروع المجمعات الحضرية . وقد أقنعنا التصنيف الضيق والدقيق بأن ما كان يسمى بالهندسة المدنية وهندسة الحدائق أو هندسة المظاهر الطبيعية لا يتشابهان إلا قليلاً أو لا يتشابهان على الإطلاق ، ولكن من منظور تاريخي فإن إنجازاتهما الأكثر نجاحاً متطابقة في النتيجة . قد تعمل المهنتان لصالح رعاة مختلفين ، ولكن كلاهما يعيد تنظيم الفضاء لتلبية الاحتياجات البشرية ، وكلاهما ينتج أعمالاً فنية بالمعنى الحقيقي للكلمة .

وفي العالم المعاصر، من خلال إدراك هذا التشابه في الغرض ، سنتمكن في نهاية المطاف من صياغة **تعريف جديد للمظاهر الطبيعية** : وهي تركيبة من المساحات التي صنعها الإنسان أو عدلها الإنسان لتكون بمثابة بنية أساسية أو خلفية لوجودنا الجماعي ؛ وإذا بدت الخلفية متواضعة بشكل غير مناسب ، فيجب أن نتذكر أنه في استخدامنا الحديث للكلمة فإنها تعني ما يؤكد على إن هذا التعريف الجديد لا يشمل هويتنا وحضورنا فحسب ، بل يشمل أيضًا تاريخنا .

ولا ينبغي لي أن أحاول التوسع في هذا التعريف الجديد . فمساهمتي ستكون هامشية على أية حال ، لأن اهتمامي بالموضوع يقتصر على محاولة معرفة كيف يمكن تحديد بعض التنظيمات المكانية من خلال مواقف اجتماعية ودينية معينة ، وخاصة هنا في أمريكا . وهذا ليس نهجًا جديدًا ، لأنه كان شائعًا منذ فترة طويلة بين المؤرخين المعماريين والمعماريين المتخصصين في المظاهر الطبيعية ؛ وهو يترك العديد من الجوانب المهمة للمظاهر الطبيعية المعاصرة والمدينة المعاصرة دون استكشافها بالكامل . ولكنه يتمتع بفضيلة تضمين التجربة البصرية لعالمنا اليومي والسماح لي بالبقاء مخلصًا لذلك التعريف القديم ولكنه مستمر بشكل مدهش **للمناظر الطبيعية : "جزء من سطح الأرض يمكن فهمه بنظرة واحدة"**.